بسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

مز ٦٩ ج ١ آلام الصليب ع ١ - ١٢

لإمام المغنين. على السوسن. لداود
"خلصني يا الله، لأن المياه قد دخلت إلى نفسي
غرقت في حمأة عميقة ، وليس مقر. دخلت إلى أعماق المياه، والسيل غمرني
تعبت من صراخي. يبس حلقي. كلت عيناي من انتظار إلهي
أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. اعتز مستهلكي أعدائي ظلمًا. حينئذ رددت الذي لم أخطفه
يا الله أنت عرفت حماقتي، وذنوبي عنك لم تخف
لا يخز بي منتظروك يا سيد رب الجنود. لا يخجل بي ملتمسوك يا إله إسرائيل
لأني من أجلك احتملت العار. غطى الخجل وجهي
صرت أجنبيا عند إخوتي، وغريبا عند بني أمي
لأن غيرة بيتك أكلتني، وتعييرات معيريك وقعت عليَّ
وأبكيت بصوم نفسي، فصار ذلك عارًا عليَّ
جعلت لباسي مسحًا، وصرت لهم مثلًا
يتكلم فيَّ الجالسون في الباب، وأغاني شرابي المسكر" هللويا

*أول سؤال يتبادر إلى ذهن الإنسان في هذا المزمور هو:
الكلام الذي يقوله داود النبي في هذا المزمور، هل هو كلام ينطبق على داود، أم ينطبق على ابن داود؟
- كلام المزمور ٦٩ وإن كان ينطبق إلى حدٍّ كبير على داود، لكنه نبوة عن ابن داود.
- المزمور ٦٩ يُعتبر مزمورًا مسيانيًا، يتكلم عن صليب المسيح وآلام المخلّص.
- هذا المزمور يُعتبر ثاني مزمور بعد المزمور ٢٢ مباشرة الذي يتكلم عن الصليب.
- من أهمية هذا المزمور ، أنه تقريبًا كل كُتّاب العهد الجديد اقتبسوا منه، باستثناء القديس يعقوب والقديس يهوذا.
- ربنا يسوع نفسه في يوحنا ١٥ الآية ٢١ قال لليهود "لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسكم إنهم أبغضوني بلا سبب" والمسيح أخذها من هذا المزمور (العدد الرابع)
- أيضًا تذكّر التلاميذ هذا المزمور في يوحنا ٢، عندما كان ربنا يسوع يطهّر الهيكل، فقال القديس يوحنا "فتذكر تلاميذه أنه مكتوب غيرة بيتك أكلتني" – (وهي الآية ٩ في هذا المزمور)
- وأيضًا هذا المزمور اقتبسه معلمنا بولس الرسول مرتين في رسالته إلى رومية:
في الإصحاح ١٥ الآية ٣ قال بولس "كما هو مكتوب تعييرات معيّريك وقعت عليّ" (الآية ٩ من المزمور).
واقتبس منه أيضًا في رومية ١١ عندما يقول "وداود يقول لتصر مائدتهم فخًا، ولتظلم أعينهم لكي لا يُبصروا" (الآيتان ٢٢ و٢٣ من المزمور).
- إذًا ربنا يسوع استشهد به، والتلاميذ تذكروه، ومعلمنا بولس الرسول استشهد به،
- وكذلك الإنجيليون الأربعة: متى، مرقس، لوقا، ويوحنا فعندما كانوا يصفون أحداث الصلب، ذكروا الخل الذي قُدِّم للسيد المسيح على الصليب، كما ذُكر في هذا المزمور.
- بل أكثر من ذلك، أن معلمنا القديس يوحنا في الإصحاح ١٩، عندما كان المسيح على الصليب قال "وبعد هذا، رأى يسوع أن كل شيء قد تم، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان"

فتمَّم النبوة الموجودة في هذا المزمور إذ يقول "ويجعلون في طعامي علقمًا، وفي عطشي يسقونني خلًا" (الآية ٢١). أي أن السيد المسيح اهتم وهو على الصليب أن يُتم بالضبط النبوة الموجودة في هذا المزمور.

- وأيضًا معلمنا القديس بطرس الرسول في سفر الأعمال، في الأصحاح الأول، قبل حلول الروح القدس، عندما كان الرسل مجتمعين، وقف القديس بطرس وقال إننا يجب أن نختار واحدًا بدل يهوذا.

واستشهد القديس بطرس في أعمال الرسل الأصحاح الأول قائلًا "ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا "لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خرابًا" (الآية ٢٥ من المزمور).

*في المقدمة، في عنوان المزمور، يقول: "لإمام المغنين على السوسن لداود"

السوسن معروف أنها آلة موسيقية، ولكن في الحقيقة لها معنى روحي أعمق من ذلك.

فهناك زهرة اسمها زهرة السوسنة، وهي زهرة الزنبق، دمعتها تُسمّى "سوسنة"

هذه الزهرة معروف أن لونها أبيض ناصع، وتنمو في وسط الطين، ورغم ذلك لا تتأثر بالطين الذي حولها.

فقد حملت رمزًا بديعًا جدًا عن السيد المسيح، فرغم أننا سنرى في هذا المزمور أن السيد المسيح يجتاز الآلام، يجتاز حمأة الطين، إلا أنه هو زهرة السوسن البيضاء النقية القدوس الذي بلا خطية.

فإن كان السيد المسيح قدوسًا وبلا خطية، فلماذا يجتاز هذه الآلام؟

لأنه جعل نفسه ذبيحة خطية، ذبيحة إثم، وُضع عليه إثم جميعنا.

المسيح حمل خطايانا، هو في ذاته قدوس أبيض ناصع بلا خطية، لكنه حمل خطايانا، ولذلك حمل هذا المزمور نبوة عن السيد المسيح.

- أيضًا هذا المزمور معزٍّ لأنفسنا جدًا جدًا جدًا، فالمسيح القدوس، المسيح البار، المسيح الذي بلا خطية، يجتاز الآلام، ويجتاز الضيق لكي كل نفسٍ فينا حين تدخل في الضيقات، لا تشعر بالضيق لأن مسيحنا القدوس اجتاز في الآلام أولًا فكلما يدخل الإنسان في الألم، يطمئن أن هذا هو طريق المسيح.

الأمر الآخر الذي يعزي الإنسان أنه في وسط الضيقات يجد أن المسيح شريك له في الألم، وأصبحت الآلام بالنسبة لنا هي شركة في آلام المسيح.

ولهذا فالمزمور يتكلم عن المسيح حامل الصليب، ويتكلم عن الكنيسة أو النفس البشرية التي تحمل الصليب كما قال السيد المسيح "من أراد أن يكون لي تلميذًا فليحمل صليبه ويتبعني"

الجزء الأول من المزمور

من العدد الأول إلى العدد الرابع، هو شكوى المرتل يشتكي من أربعة أمور:

أولًا: أنه يغرقُ في مياهٍ كثيرة.

ثانيًا: أنه في حمأةِ الطين.

ثالثًا: يشتكي من عدم استجابةِ الصلاة.

رابعًا: يشتكي من كثرةِ الأعداء.

يقول داود في العدد الأول "خلصني يا الله، لأن المياه قد دخلت إلى نفسي"
- **أول أمر يشتكي منه المرتل أنه في حالة غرق.**
صار كإنسان موجود في وسط المياه والمياه تغطيه، وشعر أنه سيغرق والخطورة ليست أن المياه غطت رأسه، بل الخطورة أن المياه دخلت إلى نفسه
- المياه هنا رمز للتجارب، رمز للضيقات.
تصوروا معي لو أن مركبًا في وسط البحر والبحر هاج، فليس هناك مشكلة، فكلما يرتفع البحر يرفع المركب إلى أعلى لكن الخطورة أن تدخل المياه داخل المركب، فحينئذٍ تغرق المركب.
- فالمشكلة ليست في الضيقات، فالضيقات بالعكس ترفع الإنسان كما بأجنحة الروح، وليست المشكلة في الآلام، ولا في الضيق، أرتفع وألتقي بالمسيح المصلوب.
إنما المشكلة أن تدخل الآلام إلى داخل نفس الإنسان"خلصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسي"،
- أي أنه من الممكن، أن يأتي الشيطان بأفكار كثيرة، بتجارب وضيقات، وطالما أن هذه الضيقات خارج قلب الإنسان وخارج فكره، فلا مشكلة. أما المشكلة فهي حين تبدأ الضيقة تدخل إلى داخل نفس الإنسان، حين يبدأ الإنسان يستسلم لهذه الأفكار، وهذه الظنون، وهذه المخاوف،حينئذٍ تبدأ السفينة في الغرق.

* فأول أمر يشتكي منه المرتل هو أنه في حالة غرق، وليس فقط غرق في المياه، بل كما يقول في العدد الثاني "غرقت في حمأة عميقة وليس مقر، دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرني"
نحن نعلم أن الحمأة هي الطين الممتليء بالقاذورات، فالإنسان في المياه يمكنه أن يعوم ويخرج منها، لكن إذا كان الإنسان في حمأة الطين، فإن أي محاولة لينقذ نفسه تجعله يزداد غرقًا فيها.
فأي حركة يقوم بها يجد نفسه يغطس أكثر لذلك يقول المرتل "غرقت في حمأة عميقة"، كلما يحاول أن يضع قدميه ليخرج، يجد نفسه يزداد نزولًا في داخل هذه الحمأة.
- **أي أن المرتل يشتكي أنه في مياه عميقة، وأن المياه طمت فوق رأسه، وليس فقط في مياه عميقة، بل في حمأة الطين، أي لا توجد إمكانية للنجاة.**
- وهذه حالات تمر بها نفوس كثيرة قد يجد الإنسان نفسه في ضيقة، في بعض الأحيان يمكنه أن ينجو ببعض الجهد، لكن أحيانًا أخرى يجد نفسه في ضيقة لا مخرج منها، كما قال بولس الرسول "فقدنا كل أمل في نجاتنا"
- هذه هي حمأة الطين، عندما يحاول الإنسان أن يرفع يده اليمنى أو اليسرى ليخرج من الضيقة، لكنه يجد أن الأمور تزداد سوءًا، والمشكلة تشتد، والتجربة تتعمق.
- قد تسألون: ما علاقتها بالصليب؟
هذا هو الدخول إلى قدس أقداس السيد المسيح ذاته، لأن هذا وصف الصليب في أعماق السيد المسيح.
آلام الصليب بالنسبة للسيد المسيح لم تكن فقط آلامًا جسدية رغم شدتها وقسوتها من مسامير وجلد، لكن الأشد منها كانت الآلام النفسية في أعماق نفس السيد المسيح من تعييرات، ومن إهانات، ومن تخلي أحبائه عنه ومن الآب الذي حجب وجهه عنه.
- المزمور كشف ما كان في أعماق السيد المسيح على الصليب "غرقت في حمأة عميقة"، ولهذا قال معلمنا بولس الرسول في وصف آلام السيد المسيح في البستان في العبرانيين (إصحاح ٥) "الذي في أيام جسده قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلّصه"
- تخيلوا لو أن إنسانًا يحب النظافة، وسقط قليل من الطين على ثيابه، تجده متقززًا جدًا، فما بالكم لو أن هذا الإنسان نفسه مغموس في الطين؟
هذا هو التعبير الذي استخدمه الكتاب المقدس ليصوّر مدى الألم الداخلي الذي كان في نفس السيد المسيح وهو يواجه الصليب "حمأة عميقة ليس لها مقر" لأن الخطية التي كان السيد المسيح يحملها هي خطية عميقة ليس لها نهاية، ولا حدود، لأنها خطية موجهة ضد الله غير المحدود.

فإذا أخطأتُ في حق إنسان، يمكن أن يصالحني أحد من البشر، وإذا أخطأتُ في حق رئيس دولة، ربما يتوسط أحد لمصالحتي معه، لكن إن كانت الخطية موجهة ضد الله غير المحدود، فما حدودها؟
ليس لها حدود ولهذا قال المرتل "حمأة عميقة ليس لها مقر"
- ولذلك نقول في القداس "لا ملاك ولا رئيس ملائكة، ولا نبي، ولا رئيس آباء
بل أنت يا رب وحدك غير المحدود، المساوي للآب، أنت الذي حملت عنا حمأة الخطية، وصرت الوسيط بيننا وبين الله"
- كما قال أيوب "أليس بيننا من مصالح؟" قال نحن في خصومة بيننا وبين الله، في حمأة الطين هذه، فنحتاج إلى مصالح، من هو هذا المصالح؟ هو الذي يضع يده على كلينا، يأخذ طبيعتنا البشرية وفي الوقت نفسه يكون مساويًا لله، ليضع يده على الله غير المحدود، ويضع يده على البشرية، فيصالح الاثنين في نفسه.
- لذلك قال المرتل "حمأة عميقة ليس لها قرار" أي ليس لها نهاية، خطية غير محدودة حملها المسيح، "المياه دخلت إلى نفسي، غرقت في حمأة عميقة وليس مقر"
- هذه يا أحبائي تعزية عظيمة جدًا، لأن الإنسان حين يدخل في الضيقة ويشعر أن نفسه تعتصر في الآلام يفرح، لأن السيد المسيح دخل في هذه الآلام أولًا. هذه المياه العميقة دخلت إلى نفس السيد المسيح ولهذا قال بولس الرسول "فيما هو قد تألم مجربًا، يقدر أن يعين المجربين"
- أصبحت الآلام محسوسة جدًا من الله، ليس بمعرفته الإلهية فقط، بل لأنه اجتازها فعليًا فعندما يقول الإنسان "نفسي تضيق"، يقول له السيد المسيح "أنا أشعر بك، لست أشعر بك بالكلام فقط، بل أنا نفسي قلت نفسي حزينة جدًا حتى الموت"
- ومن شدة آلامه في البستان صار عرقه كقطرات دم، ومعروف أنه في الحالة الطبية عندما يشتد الألم جدًا، يحدث انفجار في الشعيرات الدموية، لأن الإنسان لا يحتمل، فيصاب بحالة إغماء لأنه لا يستطيع احتمال هذه الآلام.
إنما السيد المسيح اجتاز هذه الآلام لدرجة أن عرقه نزل كقطرات دم. ما هذا؟! لم يكن حاملًا للصليب في تلك الساعة، ولم يكن متألمًا جسديًا، ولم يكن يُجلد، ولكن ما هذا؟! إنها آلام نفسية في أعماق نفسه. لقد دخلت المياه إلى نفس السيد المسيح، افرحوا لأنكم صرتم شركاء المسيح في آلامه، افرحوا لأن المسيح يشعر بكم، إذ يقول الكتاب "فيما هو قد تألم يقدر أن يعين المجرَّبين"
-قد نتساءل عندما أدخل في الضيقة ماذا أفعل؟ قال المرتّل "خلّصني يا الله" ماذا تفعل؟ تصرخ إلى الله، تصرخ للرب.
في مرة كان التلاميذ في السفينة، والرب يسوع جاء ماشيًا على الماء، فقال القديس بطرس له "إن كنت أنت هو، فمُرني أن آتي إليك على الماء"، فقال له "تعال". فخرج بطرس ماشيًا على الماء.
ما هذا؟! هذه هي التجارب وهذه هي الضيقات، وأين هي؟ تحت الإنسان، تحت قدميه، وهو فوقها.
كان بطرس ماشيًا على الماء وعيناه في عينيّ يسوع، ولم تكن هناك أي مشكلة. لكن أول ما بدأت "المياه تدخل إلى نفسه" — أي عندما بدأت الأفكار والظنون تملأ فكر القديس بطرس — قال في نفسه: "مياه؟! أمشي على المياه؟! أهذه حقيقة؟! كيف أكون أنا؟! هل أستطيع أن أحتمل هذا؟"!
ولكن يا بطرس، أنت تسير فعلًا على المياه!
بدأت المياه تدخل إلى نفسه، فبطرس بدأ يغرق.
دخلت المياه إلى نفسه، فماذا فعل بطرس؟ صرخ "خلصني يا الله! يا رب نجني"!
فيا أحبائي، أول ما نشعر أن الضيقات بدأت تدخل إلى نفوسنا، اصرخوا من أعماق قلوبكم إلى الله "خلّصني يا الله"

ولو سألنا السيد المسيح "دخلت إلى أعماق المياه، ودخلت إلى الأعماق، والسيل غمرني" — هل محبتك لنا قلت؟ يقول "لا، مياه كثيرة لا تقدر أن تطفئ المحبة، والسيول لا تغمرها"
السيد المسيح دخل إلى المياه العميقة، والسيول غمرته، ولكن محبة المسيح لنا لن تنطفئ.

*ويكمل المرتّل في العدد الثالث قائلًا "تعبت من صراخي، يبِس حلقي، كلّت عيناي من انتظار إلهي".
فالمرتل يشكو من حالة غرق في مياه كثيرة، ويشكو أنه موجود في "حمأة الطين"، والأمر الثالث الذي يشكو منه هو عدم استجابة صلاته.
هذه الضيقة التي يكتبها المرتّل تختبرها النفس، فنطبّقها على أنفسنا، ونرى كيف تنطبق على الصليب أيضًا
فبالنسبة للمرتل، هو يشكو من الصراخ الشديد، فيقول "تعبت من صراخي"، أي أن الإنسان في التجربة يصرخ لله حتى يتعب من كثرة الصراخ وحَلْقه يبِس، لأن الإنسان حين يتكلم كثيرًا، يجف حلقه.
ويقول أيضًا "كلّت عيناي من انتظار إلهي"، أي أن عينيه قد ضعفتا من كثرة الانتظار، كما ينتظر إنسان أحد آتيًا من بعيد، فيُدقّق النظر حتى تتعب عيناه.
فيقول للرب "يا رب، أنا جالس أنتظرك حتى كلّت عيناي، وأنت لم تأتِ بعد".
فتصوّروا، نفسًا تجتاز الضيقة وتصرخ لله حتى يجف حلقها، وتنتظر الرب، والمسيح لم يأتِ بعد.
مرات كثيرة، تمرّ نفوسنا بهذه الحالة.
ذكرتُ لك في النقطة السابقة: عندما تدخل النفس في "حمأة الطين"، ماذا تفعل؟ تصرخ.
فتقول "صرختُ لله حتى نشف حلقي، وانتظرت الله حتى كلّت عيناي من انتظاره، ولم يأتِ".
هذا نوع آخر من الصليب.
- انظروا المراحل:
١. المرحلة الأولى النفس التي في المياه ببعض الجهد تسبح وتخرج.
٢. أما في الضيقة الأشد، فهي في حمأة الطين.
٣. أما الضيقة الأشدّ من كليهما، فهي حين تكون في حمأة الطين وتصرخ إلى الله، ويبدو أن الله غير مستجيب.
- وهذه مرحلة ثانية من الصليب. أيضًا فعندما تجتاز نفوسنا هذه الضيقة تأكّدوا أن المسيح يشعر بكل ما نمرّ به، لأنه جرّب مثلنا ولهذا يقول إشعياء النبي في الإصحاح ٣٨ "قد ضعفت عيناي ناظرة إلى العلاء".
أي أنه رفع عينيه إلى فوق منتظرًا الرب، ويبدو وكأن الرب يتباطأ في الاستجابة.
وداود النبي أيضًا قال "كلّت عيناي من انتظار إلهي".
وهي تمثل النفس التي في ضيقة، فتفتح الكتاب المقدس وتبحث عن وعد من الله لتتشدد به.
وهذا ما يجب أن نفعله نحن أيضًا عندما ندخل في تجربة، نمسك الكتاب ونقول "يا رب، كَلِّمني"، ونتصفّح كلام الله حتى تتعب أعيننا من القراءة، ومع ذلك لا نرى استجابة.
- كلنا نتساءل ما فائدة هذا عند الله؟
١. الله يريد أن يعلّمنا أولًا المثابرة في الصلاة — "تعبت من صراخي"
فالإنسان عندما يدخل في ضيقة، يصلي والمشكلة لا تُحلّ، فيتعب فتقول "هل الله غير قادر؟"
بل هو قادر، لكنه أثناء وقوفنا أمامه من أجل الضيقة يشكّل الإنسان الداخلي ليكون على صورة المسيح.
وهذا الأمر يحتاج وقتًا، ولا يتمّ إلا ونحن واقفون أمام الله نصلي — ونحن لا نصلي بصدق إلا في الضيقة
فيسمح الله بالضيقة ويجعلها تطول قليلًا ليعلّمنا الثبات أمامه "يعطي الروح القدس للذين يسألونه"
قف واصرُخ لله من أجل ضيقتك، وأنت واقف أمامه، الله يغيّر نفسك، يغيّر إنسانك الداخلي.
٢. يريد الله أن يعلّمنا أن نصلي وننتظر "كلّت عيناي من انتظار إلهي".

مشكلتنا أننا مستعجلون، لا نريد أن ننتظر الله نريد أن نصلي، والله يتدخّل فورًا
لكن الله لا يعمل بهذه الطريقة، فمرات كثيرة يرى المسيح أنه من النافع للإنسان أن ينتظر حتى "الهزيع الرابع" فبطرس، عندما كان يغرق، كان الموقف خطيرًا لا يحتمل الانتظار، لذلك "في الحال مدّ يسوع يده ورفعه" لكن التلاميذ عندما كانوا في السفينة، تركهم حتى "الهزيع الرابع"
فإن كان المسيح يتأخر أحيانًا، فهو يعرف حجم الضيقة ويعرف نتيجتها، فلا نتزعج. بل ونحن ننتظر الله، علينا أن نثق، حتى وإن تأخر نثق أنه سيتدخل، ولو في الهزيع الرابع.

* أما عن الصليب:
- قوله "تعبت من صراخي" يذكرنا بصرخة المسيح على الصليب حين قال "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"
- ويقول أيضًا "يبِس حلقي" المسيح على الصليب قال "أنا عطشان".
- وأيضًا قوله: "كلّت عيناي من انتظار إلهي" تنطبق علي السيد المسيح عندما صرخ على الصليب"إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"
فقال الواقفون "لنرَ، هل يأتي إيليا ليخلّصه؟" وقالوا "إن كان ابن الله فلينزل الآن عن الصليب".
فبدا للمستهزئين به أن المسيح ينتظر بلا نتيجة، إذ بقي معلقًا على الصليب حتى مات بالجسد.
فبدا في نظرهم أن "كلّت عيناه من انتظار إلهه"، وأن الله لم يخلّصه.
لكن كما سنرى لم يكن هذا الانتظار بلا نتيجة، بل إن الله استجاب له سريعًا وأظهر قداسته في اليوم الثالث بقيامته من بين الأموات، كما سيكمل المزمور الحديث بعد ذلك.

* ويكمل المرتّل في العدد الرابع قائلًا "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب، اعتز مستهلكي أعدائي ظلمًا، حينئذٍ رددت الذي لم أخطفه".
فالمرتل يشكو من كثرة أعدائه، وقد انطبقت هذه الآية على داود النبي في مواقف كثيرة، ربما في ثورة أبشالوم عليه، وربما عندما طارده شاول.
فقد وجد داود نفسه في مواقف كثيرة يقول "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب".
أما السيد المسيح ابن داود، فعلى الصليب تحققت تمامًا هذه النبوة، إذ صرخ كل شعب اسرائيل "اصلبه! اصلبه"! أكثر من شعر رأسه الذين أبغضوه بلا سبب — غير الكهنة، ورؤساء الكهنة، والجند الروماني.

فإن سُئل هؤلاء: "لماذا تبغضونه؟" الجواب "بلا سبب".
- أبغضوا من كان يجول يصنع خيرًا، ويشفي كل مرض وضعف في الشعب.
- أبغضوا الذي قيل عنه "حلقه حلاوة، وكله مشتهيات".
- أبغضوا الذي قيل عنه "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته".
- أبغضوه بلا سبب

* لذلك يكمل المرتّل ويقول "حينئذٍ رددتُ الذي لم أخطفه — "وهذه الآية جميلة جدًا، فما معناها؟
المسيح صُلِب لأنه كما قال اليهود لبيلاطس "إنه قال إنه ابن الله"، أي إنه ساوى نفسه بالله.
وكان هذا هو الاتهام الموجّه إلى السيد المسيح — أنه "اختطف الألوهية"، أي نسب لنفسه ما ليس له.
فقالوا له مرة "كيف وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا؟" هذا هو الاتهام الذي اتُّهم به.
ولذلك عندما قالوا لبيلاطس "حسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جدّف"، كان المقصود بالتجديف هو أنه في نظرهم "اختطف لنفسه الألوهية".

لكن معلمنا بولس الرسول يقول عنه "لم يحسب خلسة أن يكون مساويًا لله".
أي أنه لم يختطف شيئًا ليس له، لأن ألوهيته حقيقية.
القصة أن هذه كانت خطية أبينا آدم.
ما خطية آدم؟ أنه أراد أن "يختطف مجد الألوهية"
قال له الشيطان "يوم تأكلان من هذه الشجرة تصيران كالله عارفين الخير والشر".
فأراد آدم أن يختطف ما ليس له، وهي نفس خطية الشيطان، ولذلك حُكم على الإنسان بالموت.
أما السيد المسيح، فالتهمة التي حملها على الصليب كانت خطيتنا نحن —خطية محاولة الإنسان أن يختطف ما ليس له.
والسيد المسيح على الصليب رد ما لم يختطفه بالصليب صرنا شركاء في الطبيعة الإلهية.
كانت شهوة أبينا آدم أن يصير مثل الله، فقال له الرب "لا، بل أنا أصير إنسانًا، وأرفعك أنت، وأجعلك شريكًا في الطبيعة الإلهية".
لذلك بالصليب أصبحنا شركاء في طبيعة الله ولهذا قلتُ لكم أنه عمليًا عندما تدخل النفس في الضيقة، ويتأخر الرب، لأن الله يشكّل النفس، ويغيّرها من مجدٍ إلى مجدٍ على حسب صورته.
وكيف يتم هذا التغيير؟ هل ونحن جالسون بهدوء نتأمل في كلام الله فقط؟ لا.
بل نتغير ونحن في وسط الضيق، في وسط التجربة، ونحن على "عجلة الفخاري" كما قال إرميا النبي نُمسَك كما يمسك الفخاري الطين في يده، والعجلة تدور، والفخاري يشكّل الإناء بحسب الصورة التي في ذهنه. هكذا نحن تمامًا — حين ندخل في الضيقة، يشكّل المسيح إنساننا الداخلي لنصير على صورته.
- إذًا، قوله "حينئذٍ رددتُ الذي لم أخطفه" له معنى ثانٍ أيضًا: أن السيد المسيح بالصليب ردّ الطاعة المسلوبة لله.
- فما هي الخطية؟
الخطية هي أن الإنسان كسر وصية الله فالمسيح بالصليب وبخضوعه الكامل للآب، إذ قال "لتكن لا إرادتي بل إرادتك"، ردّ للآب ما سُلِب منه بخطية آدم — أي أن السيد المسيح بالصليب رد للآب ما خُطف منه بمعصية آدم لذلك قال "رددتُ الذي لم أخطفه — "ردّها بالصليب.
- إذًا الصليب في معناه العملي، هو الضيقات التي من خلالها يتشكّل إنساننا الداخلي.
- الصليب في حياتنا اليومية هو الطاعة لله.
- فعبارة "رددتُ الذي لم أخطفه "معناها معصية الإنسان لربنا - المسيح بالصليب ردّ الطاعة لله، فصار الصليب في حياتنا هو الوصية.
- كل مرة نكسر وصية الله، نحن في الحقيقة نسلب حق الله، ونخطف شيئًا من يده، لأنه هو السيد ويجب أن نطيعه. فصار صليبنا هو الطاعة لله.
ولهذا يقول المرتّل "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب".
- فلنتأمل في حياة السيد المسيح من المزود حتى الصليب — نجد أنه كان مكروهًا بلا سبب.
فلو سألتَ اليهود: لماذا تبغضونه؟ لقالوا كما في المثل "هذا هو الوارث، هلموا نقتله"
فسبب بغضة اليهود للمسيح، وسبب صليبه، هو الحسد والغيرة "إن تركناه هكذا، يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا".
- صلاة جميلة جدًا يفضل أن نصليها في وقت الضيقة "اعتزّ مستهلكي، أعدائي ظلمًا".
قف أمام الله وقل "يا رب، انظر إليَّ، لأن عدوي اعتزّ عليَّ".
وعدونا هو الشيطان، كما يقول الرسول "مصارعتنا ليست مع لحمٍ ودمٍ، بل مع الرؤساء مع السلاطين".
فكلما اشتدت الضيقة، قُل له "يا رب، اعتزّ عليَّ أعدائي ظلمًا. الشيطان يحاربني ظلمًا، وأنا لم أفعل شيئًا" اصرُخ بهذه الطلبة إلى الله.

- وأيضًا اجعل هذا مبدأ في حياتك "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب"
فإن الإنسان عندما يختبر هذه التجربة، يعرف أنه يسير في طريق الله هذا هو طريق المسيح.
فإن وجدتَ أن من حولك يبغضونك بلا سبب، فلا تندهش ربما في العمل أو في المكان الذي أنت فيه، تجد الناس لا يطيقونك، لا يردّون عليك السلام وأنت لم تسيء إليهم أبدًا، بل بالعكس، تظهر محبة المسيح كلما سنحت الفرصة. فلماذا يعاملونك هكذا؟
الجواب في المزمور "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب".
ولهذا يقول القديس بطرس "أيٌّ مجدٍ لكم إن أخطأتم ..ولكن إن عُيرتم من أجل اسم المسيح" فلماذا نحزن نجد البعض يقول "الناس يبغضونني بلا سبب"! لكن هذا هو الطريق
إن لم تكن تسير في هذا الطريق، يساورك الشك أنك تسير في طريق الله. هذه هي علامة الصليب.
ولهذا تضع الكنيسة كل صباح في صلاة باكر هذا المزمور "يا رب، لماذا كثر الذين يحزنونني؟"
وكأن الرب يقول لنا منذ بداية اليوم احذروا لأن اليوم سيحزنكم كثيرون
وليس هذا لكي نحزن أو نكتئب، بل لكي لا نضطرب عندما يحدث ذلك فنحن أبناء الصليب، ونعلم أن اليوم قد يحمل ضيقات، إساءات، أو تجارب، لكننا لا نخاف، لأننا نسير في طريق المسيح الذي قال "في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم".
فإن وُجد من يبغضك بلا سبب، افرح، لأنك تشترك مع المسيح في حمل صليبه.
إذًا هذا هو الطريق أقول ثانيةً، نحن لا نقول هذا الكلام لكي نحزن، بل نقوله لكي نفرح، لأننا بذلك نشتركُ مع المسيحِ في آلامه إن كنا نتألمُ معه فسنتمجدُ معه، وإن كنا نتمجدُ معه فسنحيا معه. لذلك قال: إن كانوا قد فعلوا هكذا بالعُود الرطب، فماذا بالعُود اليابس؟
إذا كانوا قد أبغضوا البارَّ القدوسَ الصالحَ كلّي الصلاح، فماذا سيفعلون معنا؟

الجزءُ الثانيُ من المزمور

من العدد الخامس إلى الثاني عشر هو مصدر الأتعاب.
* في العدد الخامس يقول "يا اللهُ، أنتَ عرفتَ حماقتي، وذنوبي عنكَ لم تخفَ".
المرتلُ يعترفُ أن السببَ الأولَ في هذه الضيقات هو خطيته.
يا رب، هذه حماقتي، هذا جهلي، هذه تصرفاتي السيئة وهذه نقطةٌ جميلةٌ نافعةٌ جدًا.
لماذا لا نحتملُ الآلام؟ لأننا لا نشعرُ جيدًا بخطايانا، فتصيرُ الضيقاتُ مُرةً على القلب.
لكن عندما يكونُ الإنسانُ واضعًا خطيته أمامه في كل حين، عندما تأتي الضيقةُ يقول "آه يا رب، هذه بسبب خطيتي".
أتذكرون داود النبي؟ عندما خرجَ وثارَ عليه ابنهُ أبشالوم، وخرجَ له شمعي بن جيرا يشتمه قائلًا "اخرجْ يا رجلَ الدماء، اخرجْ يا رجلَ بليعال"!
كلامٌ قاسٍ جدًا. ويُوآبُ رئيسُ الجيشِ لم يحتمل تلك الإهانة، فقال له "يا سيدِي الملك، دعني أَعبرْ وأقتل هذا الكلب"!
لكن داود أجابه قائلًا "اتركوه، لأن الرب قال له سبَّ داود" ولماذا سمح يا داود؟
قال "لعل الرب ينظر إلى مذلتي ويكافئني الرب خيرًا عوض مسبته بهذا اليوم" (٢صم ١٦ : ١٢)
أي ربما يرى اللهُ هذا الظلم فيرحمني من خطاياي الكثيرة.
إذًا ما يعينُ الإنسانَ على احتمال الآلام هو تذكُّر خطيته. نتذكَّر بالحقيقة أن الله يُجازينا بأقلّ مما نستحق.
فلذلك، عندما يحتمل الإنسانُ الألم، فليقلْ "يا رب، أنا أعلمُ أن هذه الضيقاتِ كلها سببها خطيتي.
يا الله، أنتَ عرفتَ حماقتي. أنت تعلم يا رب أنني إنسانٌ أحمق، أستحقُّ هذا وأكثر. أنا أحصد ما زرعته" هذا بالنسبةِ لحياتنا

- أما بالنسبةِ للسيد المسيح، فكيف تنطبق عليه؟
السيد المسيح قال لهم صراحة "من منكم يُبكتني على خطية؟" هو قدوسٌ، قد انفصل عن الخطاة، وفي فمه لا يوجدُ غشٌّ. فكيف تنطبقُ عليه هذه الكلمات؟
القديس أغسطينوس قال إن هذا الكلامَ ينطبقُ على أعضاء جسد المسيح، أي الكنيسة، فالمسيح يتكلمُ بلساننا نحن.
هو في ذاته قدوس، لكنه جعلَ نفسه ذبيحةً إثم، ووُضع عليه إثم جميعًا، فصارت خطايانا التي وُضعت عليه كأنها خطيته، مع أنه هو نفسه قدوس بلا خطية فهو يتكلم بلسان الكنيسة.
وهناك تأملٌ آخر لطيفٌ جدًا: "يا اللّٰه، أنت عرفتَ حماقتي" هي مناجاةُ الابنِ للآب.
فالصليبُ في نظر الناس حماقة. فكلمةُ الصليب عند الهالكين جهالة.
الناسُ ينظرون إلى الصليب ويقولون: "ما هذا؟! إلهٌ مصلوب؟! ما هذا الهراء؟"!
لكن المسيح يقول للآب:
-"يا اللّٰه، أنت عرفتَ حماقتي"، أي ما يُقال عنه إنه حماقةٌ وجهالة وضعف، أنت تعلم أنه ما سيخلص البشرية هو قوةُ اللّٰه وحكمةُ اللّٰه.
- أيضًا حماقتي بمعنى جهلي تنطبق على السيد المسيح فكان يبدو كأنه يجهل أمور هو يعرفها تمامًا، سألوه عن الساعة قال "لا أحد يعرف الساعة ولا الابن إلا الآب" سألهم أين وضعتم لعازر" هل كان يجهل أين وضعوا لعازر !!!! إنما ما يبدو جهل وعدم معرفة هو في الحقيقة إخلاءُ الذات من أجل خلاص البشرية.

* ثم يقول المرتل في العدد السادس "لا يخْزَى بي منتظروك يا سيد رب الجنود، ولا يخْجَل بي ملتمسوك يا إله إسرائيل".

- نبدأ أولًا بتطبيقها على المرتل داود النبي:
كان يقول يا رب، اغفر لي خطيتي، لأنك تعرف أنني مسيحُ الرب وملكُ إسرائيل، وأنا قدوةٌ للشعب، فعندما يراني الشعبُ أخطئ، يتأثرون بي. لذلك يا رب، من فضلك استر عليَّ خطيتي، ليس من أجل نفسي، بل لكي لا يُعثر بك منتظروك، ولا يخجل بي من يلتمسك.
وهذه يا أحبائي نقطةٌ نافعةٌ جدًا في حياتنا:
إن خطورةَ الخطية ليست فقط أن الإنسان يُخطئ، بل أن خطيته تُؤثر على الآخرين، خصوصًا إذا كانت من أشخاصٍ لهم مكانةٌ أو اسمٌ في الكنيسة.
فلو دخلتَ الكنيسةَ ووجدتَ شخصًا من العامة يغضبُ أو يصرخُ أو يشتم، تمرّ الناس عليه مرورًا عابرًا.
أما لو دخلتَ ووجدتَ خادمًا أو كاهنًا أو شماسًا يصرخُ أو يسيء، فإنك تتأثرُ جدًا، لأن القدوةَ هي التي سقطت وهكذا خطيةُ ذوي المراكز الروحية خطيرةٌ جدًا، لأنها تُعثر الآخرين.
لذلك قال الرب في سفر اللاويين إن أخطأ الشعبُ كله يقدم ثورًا، وإن أخطأ الكاهنُ فقط يقدم ثورًا أيضًا، لأن خطية الكاهن كأنها خطية الشعب كله، لأنها تُعثر الآخرين.
هذا الكلام لكل الخدام في الكنيسة، ولكل الآباء والأمهات.
كثيرون يشتكون ويقولون أولادنا متعبون. لكن من أين جاءت تصرفاتهم هذه؟ أخذوها منا!
أولادنا عندما اعتمدوا كانوا ملائكة اللّٰه، فمن أين جاءت هذه الألفاظُ والتصرفاتُ والأفكار؟ منا نحن.
قد أخدعُ الناسَ جميعًا، لكن لا أستطيع أن أخدعَ ابني. فما يراني أفعله في البيت هو ما ينطبع في ذهنه.
لذلك عندما نشتكي أن أولادنا متعبون، أقولها بكل صراحة
هذه مشكلتنا نحن. لأن أولادنا يُقلدوننا. فصارت خطورةُ تصرفاتنا في البيت أنها تُعثرُ الآخرين،
ونحصد في النهاية ثمارًا مُرّة. ويأتي الإنسانُ يسأل "لماذا يحدث هذا؟" والجواب: "من أعمالنا نحن".

لهذا جميلٌ أن يقف الإنسانُ أمام الله قائلًا "توبني يا رب، ليس من أجلي أنا، فأنا لا أستحق، لكن من أجل ألا أكونَ عثرةً للآخرين، أولادك يا رب الذين متَّ لأجلهم، لا تجعلني أنا سببًا في عثرتهم. توبني يا رب فأتوب".

- أما بالنسبة للسيد المسيح فقوله "لا يخزَى بي منتظروك، لا يخجَل بي ملتمسوك" السيد المسيح طلب من الآب شيئًا واحدًا أثناء الصلب ألا يجعل الصليب سبب عثرة لأحبائه وتلاميذه وكنيسته لأن أخطر ما في الآلام أنها تُدخل الشكَّ إلى قلوبنا في محبة الله، وأخطر ما في التجربة أن يشعر الإنسان أن الله تركه.

- وهذا هو ما صلى لأجله السيد المسيح قائلًا للآب "لا يخزَى بي منتظروك، ولا يخجل بي ملتمسوك". في الحقيقة، كما سنرى بعد قليل، كانت تلك صرخة المسيح في البستان، وهي التي استُجيب له فيها من أجل التقوى، حتى لا يصير الصليب سبب عثرة لأولاده وكنيسته.

- من الناحية العملية، كثيرًا ما يحدث أن الإنسان حين يجتاز الألم يقول "الله تخلى عني، الله لا يسمعني، الله غاضب مني". لا، لا يخزى منتظروك، لا تجعل الصليب يدفعك إلى الشك في محبة الله.

- الضيقات هي دليل محبة الله، على عكس فكر الشيطان، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه.

- أيضًا نحن بالمسيح المصلوب لا نخزى ولا نخجل.

بالمسيح المصلوب لا نخزى، أي أنه بالصليب صار لنا دالة وقدوم إلى الآب. نحن لم يكن لنا أن نقف أمام الآب، ولم يكن لنا أن نتراءى أمامه لأننا خطاة. فما الذي يعطينا الجرأة لأن ندخل إلى الأقداس عينها؟ كما يقول الرسول بالصليب. الآب ينظر إلينا فيجد فينا صورة ابنه، فبه لا نخزى، وبه أيضًا لا نخجل أمام الناس. بالصليب نلنا قبولًا أمام الآب، فلا نخزى، والمفروض أننا بالصليب أمام الناس لا نخجل منه.

- ينبغي أن يكون الصليب فخر الإنسان المسيحي، لأنك حين تعرف ما الذي نلته بالصليب، يصير الصليب موضع اعتزاز لك، وليس شيئًا تخجل أن تُظهره أو تُظهر مسيحيتك "لأني من أجلك احتملت العار، غطى الخجل وجهي"

- إذًا سبب الضيقات هو أولًا أن الإنسان يخطئ ويعترف بخطيته أمام الله

- والسبب الثاني هو محبته لله

* في العدد السابع يقول المرتل "لأني من أجلك احتملت العار، غطى الخجل وجهي"

- عندما نُطبقها على السيد المسيح نرى أن المسيح احتمل هذه الآلام من أجل من؟ من أجل الآب. فهو يقول للآب من أجلك احتملت العار لماذا من أجله؟

أولًا: لكي يوفي العدل الإلهي ويرضي عدل الله.

ثانيًا: لأنه أطاع الآب، وهو مساوٍ للآب في الجوهر، وبإرادته قَبِل أن يحتمل العار والخزي محبةً في الآب السماوي.

لذلك يقول للآب لأني من أجلك ضاعة لك "الكأس التي أعطانيها الآب ألا أشربها؟"

وعندما قال له بيلاطس "أنا أملك سلطانًا أن أقتلك"، أجابه "ليس لك عليَّ سلطان البتة، لأنك لم تُعطَ هذا السلطان إلا من فوق "لأني من أجلك احتملت العار، غطى الخجل وجهي".

- ما هو العار والخجل اللذان لحقا بالسيد المسيح؟

أولًا: اتهام اليهود للسيد المسيح، وكان اتهامًا قاسيًا جدًا، إذ كانوا يتهمونه بأنه مولود من زنا — كلمة صعبة للغاية — ولكن في الحقيقة هذا كان فكر اليهود.

لذلك عندما كان السيد المسيح في العيد في أورشليم قالوا "نحن نعلم أن المسيح متى جاء لا يعلم أحد من أين هو، أما هذا فنحن نعلم من أين هو".

لم يقصدوا أنهم يجهلون مكان ميلاده، بل أرادوا أن يلمّحوا إلى أن نسبه غير معروف، وأنه ابن عذراء، أي بطريقة سخرية.

ولذلك مرة أخرى تحدثوا بطريقة قاسية جدًا مع السيد المسيح، فقالوا له كلمة بشعة "نحن لم نولد من زنا" نحن نسبنا معروف
وهذه كلمة مليئة بالعيب والإهانة. لذلك قال المسيح للآب "احتملت العار، غطى الخجل وجهي".
- وأيضًا لم يكن هناك عار وخزي أكثر من التفل والإهانة والتعري على الصليب.
لهذا نصلي في صلاة السجدة ونقول للرب "لم ترد وجهك عن خزي البصاق".
احتمل العار والخزي من أجلنا. نسأل السيد المسيح لماذا احتملت كل هذا؟ فيقول "من أجلك".
المسيح مخلّص العالم، لأن الله أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد.
لكن الإحساس الشخصي العميق أن المسيح احتمل ذلك من أجلي أنا، هو ما ينقصنا.
لذلك ضع أمامك الصليب وارسم تحته عبارة "من أجلي."
الآلام والعار والخزي والخجل — كل هذا كان لأجلي أنا.
اسأل القديسين الذين حملوا الصليب وراء المسيح لماذا احتملتم كل هذا؟
- القديس أبو مقار كاهن، واتُّهم بالزنا، لم يفتح فاه بل احتمل في صمت.
فقالوا له: أنت الذي تفعل كذا وكذا! فاحتمل في هدوء ولم يدافع عن نفسه، وكان يقول "من أجلك يا رب"
المسيح احتمل من أجلي العار والخزي والخجل، وأنا لا أحتمل من أجله؟
أين نحن من قول الإنجيل "غمر ينادي غمرًا"؟
إن احتمل هو من أجلنا العار، أفلا نحتمل نحن من أجله الألم؟
لذلك قال "إن عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم".
هو احتمل من أجلكم، فاحتمِلوا أنتم أيضًا لأجله.
ليت كل واحد منا يسأل نفسه هذا السؤال حين نقف أمام المسيح سيقول لنا "أترى هذه البصقة على وجهي؟ كانت من أجلك. وهذه اللطمة؟ كانت من أجلك. فهل احتملت أنت من أجلي شيئًا؟"
كل واحد يجيب بينه وبين نفسه، لئلا نخجل منه في مجيئه.
نحن فعلًا محتاجون أن نراجع أنفسنا، لأننا أمام أقل ألم نتذمر ونرفض.
لكن عندما نتذكر يا أحبائي العار والخزي الذي احتمله المسيح، ماذا نكون قد احتملنا نحن بالمقارنة؟
- لذلك هذا في الحقيقة كان سر القديس أبونا بيشوي.
أبونا بيشوي حقًا كان إنسانًا ماهرًا في حمل الصليب، كان حين يرى صليبًا لا يتردد لحظة في حمله.
كان يبحث عن المتألمين ليحمل عنهم آلامهم، وحتى لو لم يعرفهم، كان يندفع لمساندتهم.
كان لا يستطيع أن يرى صليبًا ويتركه.
أحد الآباء حكى لي قصة، قال: كنت مع أبينا بيشوي، وكانت هناك أكثر من عشر مشاكل صعبة جدًا تخص الكنيسة كل مشكلة كانت كأنها صليب ثقيل، ومع ذلك كان يحتملها كلها
وفي مرة جاءت إليه مجموعة من الناس بسبب فتاة أرادت أن تترك المسيح، وكانت هذه المشكلة رقم أحد عشر، وكان في غاية التعب، حتى كاد يسقط من شدة الألم النفسي.
فاقترحت عليه أن نحول المشكلة إلى كاهن آخر، فقال على الفور: "ماشي".
فاتصلوا بالكاهن الآخر، وبعد ساعة عادوا واتصلوا بأبينا بيشوي ليخبروه أن المشكلة لم تُحل.
قال الأب الذي يروي القصة "رأيته أكثر من ربع ساعة يعتذر ويبكي ويقول كيف تركت الصليب؟"
فعلًا، كان ماهرًا في حمل الصليب، لا يمكن أن يرى صليبًا ويتركه. أما نحن، فأين نحن؟
لو جاءت مشكلة نحاول أن ندفعها لغيرنا، لا نريد أن نحمل الصليب.
لكن حين نتأمل "ربي احتملت أنت هذا، وأنا أيضًا سأحتمل من أجلك".
أحبائي، لنقبل القليل من التعب الذي يسمح به الله في حياتنا دون تذمر.
الزوجة التي تتعب في بيتها تقول في نفسها "من أجل المسيح سأحتملها"

الزوج الذي يحتمل تعب زوجته يقول في نفسه "من أجل المسيح" مشاكل الأولاد أو العمل "من أجل المسيح" أي أمر، ضع تحته عبارة "من أجلك يا رب"
مرة أخرى يا أحبائي، حتى لا نخزى منه ونخجل في مجيئه.
* في العدد الثامن يكمل المزمور "وصرت أجنبيًا عند إخوتي وغريبًا عند بني أمي"
فعلًا، كما قيل عنه "جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله".
هذا هو الصليب الموضوع على كل من يتبع المسيح، ففي أوقات معينة قد يتخلى عنك أقرب الناس إليك وقد لا يكون هؤلاء غرباء، بل إخوتك وأقرباؤك، لكنك تصير أجنبيًا عند إخوتك وغريبًا عند بني أمك.
* ويكمل العدد التاسع قائلًا "لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيريك وقعت عليّ".
ما المقصود هنا؟
عندما دخل السيد المسيح يوم أحد الشعانين إلى الهيكل وطهّره، اغتاظ اليهود جدًا.
ولما فعل المسيح ذلك، قال الكتاب "تذكر تلاميذه أنه مكتوب غيرة بيتك أكلتني".
لأن اليهود كانوا يربحون من الهيكل — من باعة الحمام والصيارفة — والمسيح حين طهّره حرمهم من مكسبهم، فازداد غضبهم عليه. فما حدث يوم الأحد انتهى يوم الجمعة على الصليب.
- وأيضًا لنا نحن "غيرة بيتك أكلتني"، أي بيته هو الكنيسة، ونحن هيكله. حين نجد أنفسنا بعيدين عن الله، هل نحزن لذلك؟ هل تغار قلوبنا؟
يجب أن نقول "غيرة بيتك أكلتني"، أي نقول يا رب اجعلني أنظف هيكل نفسي، لأننا نحن هيكل الله.
عندما نجد أفكارًا أو نجاسات أو محبة غريبة في قلوبنا، لنقل "غيرة بيتك أكلتني، أريد أن أطهر هيكلك فيّ يا رب".
"وأبكيت بصوم نفسي"، أي إنسان يصوم لا من أجل نفسه فقط، بل من أجل الآخرين، يصوم لأجل نفس بعيدة عن الله لتقترب إليه، يصوم لأجل خاطئ ليتوب.
"غيرة بيتك أكلتني، وتعييرات معيريك وقعت عليّ".
وهذا يعني أن الابن يقول للآب: الذين يعيرونني هم الذين سبقوا فعيروك في القديم في أيام موسى، وهم أنفسهم الآن يعيرون ابنك، وسيفعلون ذلك مع أولادك حتى مجيئك الثاني.
*ويكمل في العدد العاشر:
"صار ذلك عارًا عليّ، صرت لهم مثلًا، يتكلم فيّ الجالسون في الباب وأغاني شاربي المسكر".
يصف هنا منظر الصليب، فالمسيح كان مصلوبًا على أبواب أورشليم، والشعب يسخر منه، والرؤساء والجند الرومان يهزأون به. صار المسيح أغنية وموضع سخرية للشاربين، وأحاديث استهزاء للأشرار.
عجيب يا أحبائي، الذي تسجد له الملائكة يصير موضوع سخرية للأشرار!
لكن الكنيسة تقول له "أغاني شاربي المسكر" — أي عندما نسكر يا رب بمحبة صليبك، تصير لنا أغنية فرح.عندما تدرك النفس محبة المسيح لها، تحتمل الألم بفرح عظيم.
"يتكلم فيّ الجالسون في الباب"، أي الكتبة والفريسيون الذين أخذوا مفاتيح المعرفة وجلسوا على الباب، لا دخلوا ولا سمحوا للداخلين أن يدخلوا. هؤلاء هم الذين كانوا يهزأون بالمسيح.
وإذ صُلب المسيح خارج أسوار أورشليم، يقول الرسول بولس"فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة، حاملين عاره".
لنخرج إليه، نتأمل محبته، ونفرح بأن نُهان معه.
ولإلهنا المجد دائمًا أبديًا، آمين